سحابة صيف
ثم تنقشع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠﴾ [التَّوۡبَة : ١١٩ - ١٢٠].

سنتناول هذه الآية الكريمة من سورة التوبة (الآية: ١٢٠)، التي تبيّن قيمة الجهاد والتضحية في سبيل الله، موضحةً أن أي جهد يُبذَل أو مشقة تُعانيها النفس في سبيل الله تُحتسب عملًا صالحًا عند الله.

هذه الآية تحث أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب على عدم التخلف عن رسول الله ﷺ في الجهاد، أو أن يفضلوا راحتهم على مشقته. وتُظهر الآية الكريمة أن كل تعب، أو عطش، أو جوع يُصاب به المؤمنون في سبيل الله، وكل خطوة يخطونها تغيظ الكفار، وكل انتصار يتحقق على العدو، يُكتب لهم به أجر عظيم.

وتؤكد الآية على أن الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر المحسنين؛ فهو يحصي كل عمل صالح، مهما بدا صغيرًا، ويكافئ عليه بكرمه ورحمته.

دلالة الآية

تعزز روح الصبر والثبات، مع يقينهم بأن الله سيجزيهم أجرًا كريمًا في الدنيا والآخرة.

عناصر الموضوع

١. تقوى الله وصحبة الصادقين: منهج حياة المؤمن.

تفسير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التَّوْبَة: ١١٩].

٢. وجوب نصرة الرسول ﷺ.

تفسير: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التَّوْبَة: ١٢٠].

٣. التحذير من التخلف عن رسول الله ﷺ.

تفسير: ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ [التَّوْبَة: ١٢٠].

٤. فضل الجهاد في سبيل الله وأجر المحسنين.

تفسير: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٢٠﴾ [التَّوْبَة: ١٢٠].

٥. أن الآثار المترتبة على عمل العبد له فيها أجر كبير.

٦. فضل الإنفاق في سبيل الله.

تفسير: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٢١﴾ [التَّوْبَة: ١٢١]

٧. حديث: «الخيل ثلاثة هي لرَجُلٍ وِزرٌ، وهي لِرَجُلٍ سِترٌ، وهي لرجُلٍ أجْرٌ».

٨. حديث: «ما يُصيبُ المسلمَ من نَصَبٍ ولا وصَب ولا هم».

٩. تسلية المؤمن بحديث الابتلاء والتكفير عن الذنوب.

١٠. الصبر على مصائب الدنيا: كيف يواجه المؤمن همومه؟

١١. المصائب وأثرها على النفس.

١٢. إيمان المؤمن بقضاء الله وقدره.

١٣. القدرة على التكيف مع الأقدار.

١٤. الابتلاء في حياة الأنبياء دروس في الصبر والاحتساب.

١٥. الابتلاء على قدر إيمان العبد.

١٦. صبر الصحابة على الأذى في سبيل الله.

١٧. الابتلاء سنة الله في الأرض.

١٨. بعد العسر يسر .

١٩. كل ما يحدث لك هو بتقدير الله.

٢٠. سحابة صيف.. ثم تنقشع.

٢١. رسالة إلى كل مبتلى.

٢٢. كلمات تسلية وتفاؤل.

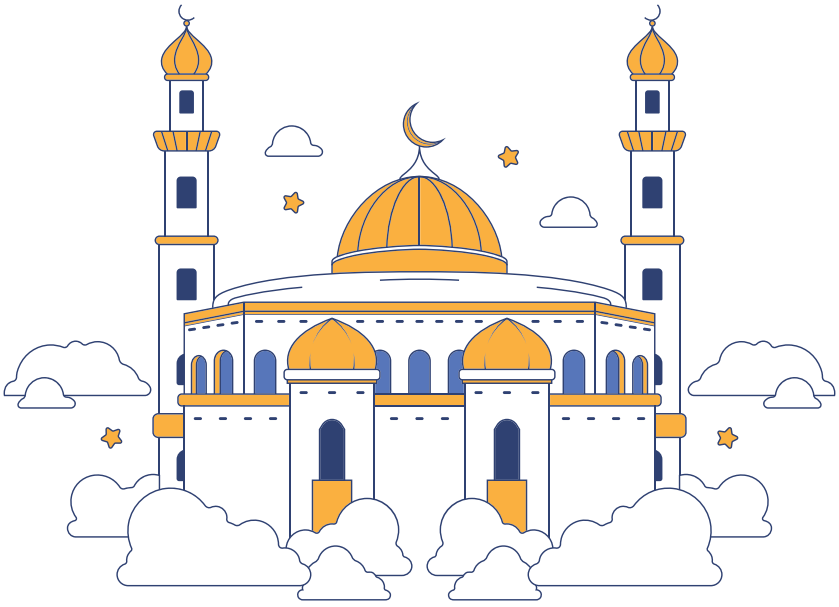

تفسير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التَّوْبَة: ١١٩].

إن من أعظم ما أمر الله به عباده المؤمنين هو التحلي بالتقوى، والصدق في القول والعمل، لأنهما أساس كل فضيلة، وسبيل كل نجاح في الدنيا والآخرة. وقد جاءت التوجيهات الربانية في القرآن الكريم لتغرس في القلوب هذه القيم العظيمة، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التَّوْبَة: ١١٩].

هذه الآية الكريمة تلخص منهج حياة المسلم؛ فهي تدعو إلى تقوى الله التي تهذب النفوس، وتطهر القلوب، وإلى الصدق الذي هو عنوان الإيمان وميزان الأخلاق. فالصدق ليس مجرد صفة، بل هو سلوك دائم، ومبدأ راسخ يلتزمه المؤمن في علاقته مع ربه ونفسه والناس من حوله.

وفي هذا الموضوع، سنتناول بالدراسة والتأمل معنى هذه الآية الكريمة، وما تحمله من دروس عظيمة للمؤمنين في مسيرتهم الإيمانية. كما سنتطرق إلى أهمية الصحبة الصالحة، والاقتداء بالأنبياء والصالحين الذين جسدوا هذه المعاني في حياتهم

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التَّوْبَة: ١١٩].

التفسير

١ - «لَمَّا أمَرَ الله تعالى المُؤمِنينَ بتَقوى اللهِ، وأمَرَ بكَينونَتِهم مع الصَّادِقينَ، وأفضَلُ الصَّادِقينَ هو رَسولُ الله ﷺ، ثمَّ المُهاجِرونَ والأنصارُ»[١].

٢ - «اقتضى ذلك مُوافَقةَ الرَّسولِ وصُحبَتَه أنَّى توجَّهَ مِن الغَزَواتِ والمَشاهِدِ»[٢].

٣ - «فعُوتِبَ العِتابَ الشَّديدَ مَن تخلَّفَ عن الرَّسولِ في غَزوةٍ، واقتضى ذلك الأمرَ لِصُحبَتِه، وبذلَ النُّفوسِ دُونَه»[٣]

٤ - «والصِّدقُ هنا هو صِدقُ الإيمانِ والعملِ والطَّاعةِ، ويشمَلُ صِدقَ اللِّسانِ»[٤]

٥ - «ومعنى الآية أنَّ الله أمَر المؤمنين بتقواه بفعلِ أوامرِه، وتركِ نواهيه، والاقتداءِ بالصَّادقين في الأقوالِ والأعمالِ»[٥]

---

(١) مصدرها: تفسير الطبري، الجزء ١١، الصفحة ٣٧٠-٣٧١.
(٢) مصدرها: تفسير ابن كثير، الجزء ٤، الصفحة ١٨٨.
(٣) مصدرها: تفسير القرطبي، الجزء ٨، الصفحة ٢٤٤.
(٤) مصدرها: تفسير السعدي، الصفحة ٣٣٧.
(٥) مصدرها: روح المعاني للألوسي، الجزء ١٠، الصفحة ٤١.

الشرح

لَمَّا أمَرَ الله تعالى المُؤمِنينَ بتَقوى اللهِ، وأمَرَهم أن يكونوا مع الصَّادِقينَ، وأفضَلُ الصَّادِقينَ هو رَسولُ الله ﷺ، الذي يُعَد القدوة العظمى في الصدق والإخلاص، يليه المهاجرون والأنصار الذين قدموا أروع الأمثلة في التضحية والعمل لنصرة الدين.

أهمية الالتزام بالطاعة

تُظهر هذه الكلمات تأكيدًا على أهمية التزام المؤمنين بطاعة الله ورسوله ﷺ

وجوب التمسك بصحبة النبي الكريم في كل المواقف، خصوصًا في الغزوات والمشاهد التي تتطلب التضحية والثبات.

المعنى والدلالة

١. وجوب طاعة الرسول ﷺ:

موافقة الرسول ﷺ في كل أمر واجبة على المؤمنين، فليس لأحد أن يتخلف عن نصرة الدين، لا بالقول ولا بالعمل.

٢. امتحان الإيمان:

الغزوات والمواقف الصعبة كانت امتحانًا لإيمان الصحابة، وإظهارًا لصدق اتباعهم للنبي ﷺ

٣. أهمية الصحبة الصالحة:

الصحبة الصالحة، وخاصةً صحبة النبي ﷺ، كانت الطريق إلى الثبات على الحق، والسير على نهج التقوى.

هـذا النـص يعكـس دعـوة للتـأسي بالـنبي ﷺ وأصحابـه في الطاعـة والالتزام والعمـل الصـالح، مهمـا بلغـت المشـقة والتحـديات.

وجوب نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم

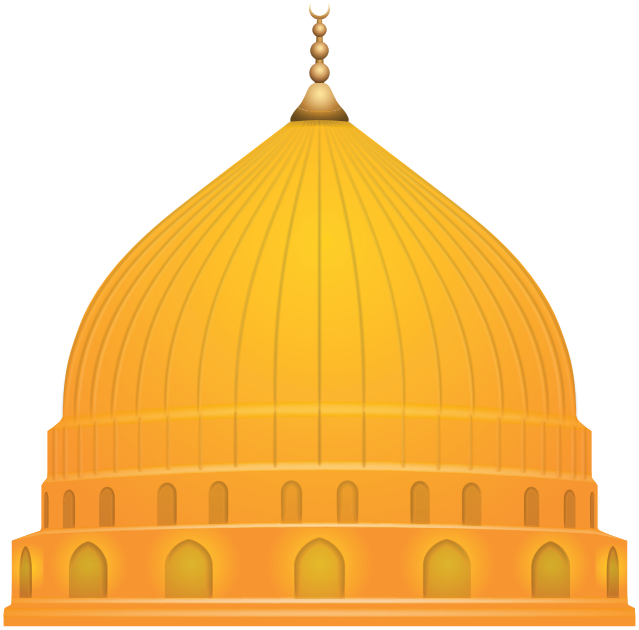

تفسير: ﴿ مَـا كَانَ لِأَهْـلِ ٱلْمَدِينَـةِ وَمَـنْ حَوْلَهُـم مِّـنَ ٱلْأَعْـرَابِ أَن يَتَخَلَّفُـواْ عَـن رَّسُـولِ ٱللَّهِ ﴾ [التَّوْبَـة : ١٢٠].

إنَّ أعظم ما يُعين المؤمن في سيره إلى الله تعالى هو امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والوقوف بجانب الحق، والدفاع عنه مهما كانت الظروف. ومن هذه الأوامر الربانية التي تُجسِّد صدق الإيمان وحُسن الاتباع: النصرة الكاملة للرسول صلى الله عليه وسلم، وعدم التخلف عنه في كل موطن أو موقف.

وقد جاء التوجيه الإلهي واضحًا في قوله تعالى: ﴿ مَـا كَانَ لِأَهْـلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَـنْ حَوْلَهُـم مِّـنَ ٱلْأَعْـرَابِ أَن يَتَخَلَّفُـواْ عَـن رَّسُـولِ ٱللَّهِ ﴾ [التَّوْبَـة : ١٢٠] ؛ حيث

يُبيِّن الله عز وجل أنَّ من علامات الإيمان الصادق الانقياد التام لرسوله، ومشاركته في دعوته وجهاده.

في هذا الموضوع، سنتناول المعاني العظيمة التي تحملها هذه الآية الكريمة، وما تعكسه من دروس تربوية وعِبر إيمانية لأهل المدينة ومَن حولهم، ولنا جميعًا في التزام منهج الطاعة والنصرة للحق

التفسير

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ [التَّوْبَة : ١٢٠].

حث الله تعالى لأهل المدينة ومن حولهم يقول الله تعالى ـ حاثًا أهل المدينة المنورة من المهاجرين، والأنصار، ومن حولهم من الأعراب، الذين أسلموا وحسن إسلامهم: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ [التَّوْبَة : ١٢٠]. أي: ما ينبغي لهم ذلك، ولا يليق بأحوالهم[١].

وجوب الخروج مع النبي ﷺ: ما كان لهم أنْ يتخَلَّفوا عن الخُروجِ مع رسولِ الله ﷺ في غَزوةِ تَبوكَ.

أوجب الله - سبحانه - على المؤمنين مصاحبة رسولهم ﷺ في غزواته.

أهل المدينة ومن حولهم: ليس لأهل المدينة أو لغيرهم من الأعراب، سكان البادية، الذين يسكنون في ضواحي المدينة؛ كقبائل: مزينة ،جهينة، أشجع، غفار[٢].

ورد في الحديث الشريف: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قريشٌ والأنصارُ وجُهينةُ ومُزينةُ وأسلمُ وأشجعُ وغفارُ مواليَّ، ليس لهم مولًى دون الله ورسوله»[٣]

(١) المصدر: تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٣٥٥.

(٢) المصدر: تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٤٢٥

(٣) (الراوي: أبو هريرة | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم: ٤٣٨٩ | خلاصة حكم المحدث: صحيح)

الشرح:

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعض القبائل، وهي:

- قريش،
- الأنصار،
- جهينة،
- مزينة،
- أسلم،
- أشجع،
- غفار.

ثم بيّن أنهم أولياؤه المختصون به، وأن الله وليهم والمتكفل بهم وبمصالحهم، وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم، ليس لهم مولًى غيره. فالخلق كلهم ملك لله تعالى، ثم يوالي تعالى، ويعادي من يشاء.

- اختصاص هذه القبائل بولاية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم قد يكون لأسباب، منها:

١. عدم وجود حلفاء لهم من العرب كما كان لغيرهم.

٢. إسلامهم المبكر، وفراقهم لأصول قبائلهم وعداوتهم لها؛ مما جعل الله يوليهم ويشرفهم بذلك.

٣. تخصيص لهم وتشريف بولاية الله ورسوله[1].

(١) (المصدر:موقع موسوعة الأحاديث النبوية).

التحذير من التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

تفسير ﴿ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾ ليس لهؤلاء جميعًا أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ما خرج للجهاد، كما فعل بعضهم في غزوة تبوك؛ لأن هذا التخلف يتنافى مع الإيمان بالله ورسوله.

شرح قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾

المعنى: أي لا يجوز لهم أن يرغبوا ببقاء أنفسهم في الراحة والسكينة، ويتركوا النبي صلى الله عليه وسلم يتعرض للآلام والمخاطر.

النبي صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ومن الواجب على كل مسلم أن يفديه بنفسه، ويقدمه عليها.

علامة تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم ومحبته والإيمان التام به، أن لا يتخلفوا عنه في المشقة والتعب.

عدم الترفع عن مصاحبته في الجهاد:

لا يليق بالمؤمنين أن يترفّعوا بأنفسهم عن نفسه الكريمة، فيصحبوه في الراحة، ويتخلوا عنه في التعب والمشقة.

الواجب عليهم أن يشاركوه في البأساء والضراء، ويكابدوا معه الأهوال بالرغبة والنشاط نفسه.

وجوب التضحية:

على المؤمنين أن يلقوا أنفسهم في الشدائد كما يفعل النبي صلى الله عليه وسلم، مع علمهم بأن نفسه أعز نفس على الله وأكرمها.

إذا تعرضت نفسه الطاهرة للشدائد، وجب على سائر الأنفس أن تتهافت في السبيل نفسه، دون اكتراث أو تردد.

قول صاحب الكشاف:

«أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء، وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتباط، وأن يلقوا أنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه، علماً بأنها أعز نفس على الله وأكرمها. فإذا تعرضت - مع كرامتها وعزتها - للخوض في شدة وهول، وجب على سائر الأنفس أن تتهافت فيما تعرضت له، ولا يكترث لها أصحابها، ولا يقيمون لها وزنًا، وتكون أخف شيء عليهم وأهونه، وتهيج لمتابعته بأنفة وحمية»[1]

فضل الجهاد في سبيل الله وأجر المحسنين

تفسير: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [التَّوْبَة : ١٢٠]

تعد هذه الآية الكريمة من سورة التوبة من أروع الآيات التي تبين فضل الجهاد في سبيل الله، وفضل الذين يلتزمون بالدعوة إلى الله، والعمل الصالح في سبيله. فقد جاءت الآية لتبين جزاء المؤمنين الذين يضحون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فيذكرهم الله عز وجل بأجرهم العظيم الذي لا يضيع.

الآية تشرح كيف أن المؤمنين الذين يواجهون الصعاب في سبيل الله، سواء كان ذلك من تعب أو مشقة أو صراع مع الأعداء، فإن كل خطوة يخطونها، وكل جهد يبذلونه في سبيل الله يُكتب لهم عمل صالح، وكأنهم يكتسبون أجراً عظيماً في كل فعل، مهما كان صغيراً. كما أكد الله تعالى في هذه الآية أنه لا يضيع أجر المحسنين، بما يضمن لهم الخير والبركة في الدنيا والآخرة.

(١) (ص٤٢٥ - كتاب التفسير الوسيط لطنطاوي - سورة التوبة، المكتبة الشاملة).

تعد هذه الآية درساً عظيماً في الصبر والمثابرة، وفي فهم حقيقة أن أي جهد أو تعب يبذله المؤمن في سبيل الله - مهما كانت الظروف- لا يذهب سدى، بل له عند الله جزاء عظيم

قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [التَّوْبَة: ١٢٠]

أجر الجهاد وأثره في حياة المؤمنين

ثم ذكر الله تعالى الثواب الذي يحمل المؤمنين على الجهاد والخروج مع النبي ﷺ، فقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ﴾ أي: المجاهدين في سبيل الله.

معنى اسم الإشارة في الآية:

اسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يشير إلى الأمر الذي كلف الله به المؤمنين، وهو وجوب مصاحبة النبي ﷺ ، والنهي عن التخلف عنه.

المشقة في سبيل الله

الظمأ: ﴿ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ﴾ أي: لا يصيبهم عطش في سبيل الله إلا كُتب لهم به أجر عظيم.

النصب: ﴿ وَلَا نَصَبٌ ﴾ أي: لا يصيبهم تعب أو مشقة في سبيل الجهاد إلا كُتب لهم به عمل صالح.

المخمصة: ﴿ وَلَا مَخْمَصَةٌ ﴾ أي: لا يصيبهم جوع شديد يجعل بطونهم ضامرة في سبيل الله إلا كُتب لهم به أجر. [1]

(١) المصدر: التفسير الوسيط- طنطاوي

إغاظة الكفار ودوس أراضيهم

إغاظة الكفار: ﴿ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ ﴾ أي: لا يدوسون أرضًا من أراضي الكفار بأرجلهم أو بحوافر خيولهم بهدف إغاظتهم إلا كُتب لهم به أجر.

قطع الأودية: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠ ﴾ [التَّوۡبَة : ١٢٠]

﴿ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا ﴾ أي: لا يمرون عبر وادٍ أثناء مسيرهم إلى عدوهم أو رجوعهم إلا كُتب لهم عمل صالح.

قال قتادة: «ما ازداد قوم من أهليهم في سبيل الله بعدًا إلا ازدادوا من الله قربًا»[1].

النيل من العدو: إصابة العدو ﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا ﴾ أي: لا يصيبون من أعدائهم شيئًا كقتل أو أسر أو غنيمة إلا كُتب لهم به أجر عظيم)

صور النيل:

- كالظفر بجيش أو سرية.
- الغنيمة أو الأسر.
- الإصابات في القتال، سواء كانت قتلًا أو جراحًا[2].

الأجر العظيم: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌ﴾ جميع الأعمال التي يقوم بها المجاهدون تُحسب عند الله أعمالًا صالحةً.

(١) تفسير ابن كثير - ابن كثير (٧٧٤ هـ)- تفسير سورة التوبة ، آية ١٢٠.

(٢) ص٤٢٥ - كتاب التفسير الوسيط لطنطاوي - سورة التوبة الآيات (١١٩- ١٢٠) - المكتبة الشاملة

الله لا يُضيع أجر المحسنين، سواء أكان العمل كبيرًا أم صغيرًا.

هي الآثار المترتبة على عمل العبد وأجرها العظيم[1]

أن الآثار المترتبة على عمل العبد له فيها أجر كبير

أمثلة:

تعب ومشقة في سبيل الله: أي جهد يبذله العبد أو تعب يصيبه أثناء أداء الأعمال في سبيل الله؛ كالصبر على المشقات وتحمل الأذى، يُكتب له به أجر عظيم.

الجوع والعطش في سبيل الله: ما يصيب المؤمن من جوع أو عطش أثناء الجهاد أو العمل لإعلاء كلمة الله، فإن ذلك محسوب في ميزان حسناته.

خطوات المؤمن في سبيل الله: (كل خطوة يخطونها في سبيل الله)

لا يقطعون واديًا، ولا يتحركون خطوة إلا ويُكتب لهم بها ثواب في سجل حسناتهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌ ﴾ [التَّوۡبَة : ١٢٠]

حتى آثار العمل تُجازى بها لا يفعلون شيئًا في سبيل الله، مهما كان بسيطًا، كقطع مسافة أو مواجهة شدة، إلا وكان ذلك مكتوبًا لهم كعمل صالح يُثابون عليه.

(١) (ص٣٥٥ - تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن - المكتبة الشاملة)

ثبات الأجر في سجل الحسنات: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ أي: إلا كُتب لهم ثوابه في سجل حسناتهم، لتكون هذه الأعمال ذخيرة لهم يوم القيامة[1]

عتاب الله للمتخلّفين عن رسول الله ﷺ: عندما عاتب الله سبحانه وتعالى المتخلّفين عن رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك- من أهل المدينة ومَنْ حولها من أحياء العرب- أشار إلى نقصهم من الأجر العظيم بسبب رغبتهم بأنفسهم وتخلفهم عن الجهاد معه ﷺ.

أعمال محسوبة رغم عدم السعي المباشر لها:

١. الظمأ (العطش):

كل عطش يصيبهم أثناء الجهاد يُكتب لهم به أجر.

٢. النَّصَب (التعب):

- أي تعب ومشقة يلاقونه في سبيل الله يُحتسب لهم كعمل صالح.

٣. المخمصة (المجاعة):

أي جوع يعانون منه في سبيل الله يُكتب لهم به ثواب.

٤. إغاظة الكفار:

نزولهم في أي موضع يُرهب عدوهم أو يُغاظون منه يُكتب لهم به أجر عظيم.

٥. الظفر والغلبة على الأعداء:

كل غنيمة أو نصر يتحقق على العدو يُحتسب في سجل حسناتهم.

(١) (ص٣٥٥ - تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن - المكتبة الشاملة).

ذكر الحافظ -رحمه الله- أن الله سبحانه وتعالى يحتسب للمؤمنين هذه الأعمال التي ليست داخل قدرتهم المباشرة أو إرادتهم.

هذه الأمور؛ كالتعب، العطش، الجوع، والمشقة تحصل لهم بشكل طبيعي بسبب أفعالهم في سبيل الله.

﴿ إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾ :

كل هذه المعاناة تُسجّل كأعمال صالحة وثواب جزيل، كما وعد الله بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠﴾.

هذه الآية توضح أن الله لا يضيع أجر أي عمل صالح أو أي معاناة يتكبدها المؤمنون في سبيله، حتى لو كانت أمورًا غير مقصودة أو خارجة عن إرادتهم.

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠﴾ [الكهف : ٣٠].[1]

(١) تفسير ابن كثير - ابن كثير (٧٧٤ هـ) - للشيخ خالد سبت.

فضل الإنفاق في سبيل الله

تفسير: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التَّوْبَة : ١٢١].

تعدّ الآية الكريمة من آيات الجهاد والإنفاق في سبيل الله؛ حيث تبين جزاء كل من يسهم في خدمة الدين والحق. تركز هذه الآية على تنوع أوجه الإنفاق، سواء كانت صغيرة أو كبيرة، وتؤكد أن الله لا يضيع أجر العاملين مهما كانت قيمة ما ينفقونه. كما يُشَرّف المنفقين بأن جزاءهم سيكون مضاعفًا، فيحصلون على أفضل ما كانوا يعملون. هذه الآية تبرز فضل الإنفاق في سبيل الله كوسيلة لزيادة الأجر والثواب، وتحث المؤمنين على بذل الجهد والمال في طاعة الله، مبيّنة أن ما يُقدّم في سبيل الله لا يذهب سدى، بل يُجازى عليه خير الجزاء

معاني الآية الكريمة:

النفقات في سبيل الله:

تشمل كل نفقة، سواء صغيرة؛ كصدقة تمرة أو كبيرة؛ كالتبرعات العظيمة.

مثال على النفقة الكبيرة: تصدق عثمان -رضي الله عنه- في غزوة تبوك بمال كثير.

مثال على الإنفاق العظيم: موقف عثمان بن عفان رضي الله عنه

تجهيز جيش العسرة:

- جاء عثمانُ بن عفان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينارٍ في كُمِّه حين جهَّز جيش العُسرة.

- وضع عثمانُ المال في حجر النبي ﷺ، ونثره فيه.

- النبي ﷺ يُقلِّب المال في حجره، ويقول: «ما ضرَّ عثمانَ ما عمل بعدَ اليومِ» مرتين.

الحديث : «جاء عثمانُ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بألفِ دينارٍ في كُمِّه –حينَ جهز جيشَ العسرةِ– فنثَرها في حِجرِه، فرأيتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُقلِّبُها في حِجرِه، ويقولُ: ما ضَرَّ عثمانَ ما عمِل بعدَ اليَومِ، مرتين»[1].

كل نفقة تُحتسب أجراً: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [التَّوْبَة: ١٢١] سواء أكانت تمرةً صغيرةً أم مالًا جزيلًا، يُكتب لهم أجرها.

(١) المصدر: كشف المناهج والتناقيح - الصفحة أو الرقم: ٢٨٣/٥. - خلاصة حكم المحدث: رجاله موثقون

مشقة السفر والجهاد: ﴿وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا﴾- أية خطوة يخطوها المؤمنون، حتى قطع الأودية، يُحتسب لهم أجرها.

أي: أية مسافة يقطعها المؤمنون في سبيل الله، سواء أثناء الذهاب إلى العدو أو الرجوع منه، يُكتب لهم أجر ذلك.

الثواب العظيم: ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢١﴾ كل المشقات والمعاناة تُكتب أعمالًا صالحةً، ويجازيهم الله بأحسن الجزاء.

كل ما يبذله المؤمنون من أموال أو يتحملونه من مشقات يُكتب في سجل حسناتهم، ليُجازيهم الله بأحسن الجزاء.

رفعة الدرجات وأجر المشقات: «كل ما يلاقيه المؤمنون من تعب وعطش وجوع أثناء الجهاد في سبيل الله، يُرفع لهم درجات، ويُكتب لهم به أجر كبير» [1]

حديث: «الخيل ثلاثة هي لرَجُلٍ وِزرٌ، وهي لِرَجُلٍ سِترٌ، وهي لرجُلٍ أجْرٌ»

ورد في الحديث عن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «الخيلُ ثلاثةٌ: هي لرَجُلٍ وِزرٌ، وهي لِرَجُلٍ سِترٌ، وهي لرجُلٍ أجْرٌ، فأمَّا التي هي له وِزرٌ، فرَجُلٌ ربَطَها رياءً وفَخرًا ونِواءً على أهلِ الإسلامِ، فهي له وِزرٌ، وأمَّا التي هي له سِترٌ، فرجلٌ رَبَطَها في سبيلِ اللهِ، ثمَّ لم ينسَ حَقَّ اللهِ في ظُهورِها ولا رِقابِها، فهي له سِترٌ، وأمَّا التي هي له أجرٌ، فرَجُلٌ ربَطَها في سبيلِ اللهِ لأهلِ الإسلامِ، في مَرجٍ وَرَوضةٍ ، فما أكلَتْ من ذلك المَرجِ أو الرَّوضةِ مِن شَيءٍ إلَّا كُتِبَ له عددَ ما أكَلَت حَسَناتٌ، وكُتِبَ له عددَ أرواثِها وأبوالِها حَسَناتٌ، ولا تَقطَعُ طِوَلَها ، فاستَنَّتْ شَرَفًا أو شَرَفين ، إلَّا كتَبَ اللهُ له عدَدَ آثارِها وأرْواثِها حَسَناتٍ، ولا مَرَّ بها صاحِبُها

(١) (تفسير السعدي، ص٣٥٥).

على نهرٍ فشَرِبَت منه، ولا يريدُ أن يسقِيَها، إلَّا كتَبَ اللهُ له عدَدَ ما شَرِبَت حسناتٍ»[1]

ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«الخيلُ ثلاثةٌ: هي لرَجُلٍ وِزرٌ، وهي لِرَجُلٍ سِترٌ، وهي لرجُلٍ أجْرٌ».

شرح الحديث :

الأول : الخيل التي هي وِزرٌ

- هي الخيل التي يربطها صاحبها لأغراضٍ غير مشروعة:
- للتفاخرِ والتعاظُمِ.
- إظهار الطاعة زيفًا، مع وجود العداوة لأهل الإسلامِ في الباطنِ.
- في هذه الحالة تكون عليه وزرًا وإثمًا.

الثاني: الخيل التي هي سِترٌ

- هي الخيل التي يربطها صاحبها تَغنِيًّا وتَعفُّفًا:
- يستخدمها ليستغنيَ بها عن سؤال الناس.
- يُخرِجُ زكاتَها إذا وُجِبتْ.
- لا يُحمِّلُها ما لا تُطيق، أو يُركبُها في سبيلِ اللهِ.
- في هذه الحالة تكون ساترةً لفقره وحاله.

(١) الراوي : أبو هريرة | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٢٣٧١ | خلاصة حكم المحدث : (صحيح) التخريج : أخرجه البخاري (٢٣٧١)، ومسلم(٩٨٧) بنحوه.

الثالث: الخيل التي لها أجرٌ

- هي الخيل التي أعدَّها الرجل للجهادِ في سبيلِ اللهِ، فرَبَطَها بحَبْلٍ طَويلٍ في أرضٍ واسعةٍ بها عُشبٌ كثيرٌ.
- ما أكَلَتْه مِنَ العُشبِ وهي مَربوطةٌ في حَبْلِها، يُكتب لصاحِبِها حسناتٌ.
- لو انْقطعَ حَبْلُها وجَرَتْ (فاستنَّت) شَرَفًا أو شَرَفَينِ (الشرف: العالي من الأرض، أو المراد شَوطًا أو شَوطَينِ):
- الآثار التي تُحدِثُها بحوافِرِها، والأَرواثُ التي تَخلُفُها تُكتب حسناتٍ لصاحبها.
- لو مَرَّت بنَهَرٍ، وشَرِبَت منه دون أن يُريدَ صاحبُها أنْ يَسقيَها، كان ذلك له حسناتٍ أيضًا.

سؤال النبي عن الحُمُر :

- ثمَّ سُئلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن الحُمُر (جمع حمار)، وهلْ لهم فيها مِنَ الأجرِ ما في الخيلِ؟

- أجاب صلى الله عليه وسلم:

«ما أُنزِلَ عليَّ فيها شيءٌ، إلا هذه الآيةُ الجامعةُ الفاذَّةُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزَّلْزَلَة: ٧ - ٨]

- **الفاذَّةُ:** المُنفرِدةُ في معناها.

-المعنى: إنْ كان صاحبُ الحُمُر أراد بجمعها الخيرَ، فلا بُدَّ أن يُجزَى بجزائه، وإلا فعلى العكس[1].

(١) المصدر: حديث «الخيلُ ثلاثةٌ: هي لرَجُلٍ وِزرٌ»- الموسوعة الحديثية - الدرر السنية.

حديث : "ما يُصيبُ المسلمَ من نَصَبٍ ولا وصَب ولا هم"

فضل الابتلاء في ضوء الحديث النبوي ورد في حديث صحيح عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «ما يُصيبُ المسلمَ من نَصَبٍ ولا وصَب ولا هم، ولا حزَنٍ ولا أذى، حتى الشوكةُ يشاكها؛ إلا كفّر الله بها من خطاياه»[1]

فهل يسخطُ بعضنا بعد ذلك؟! وهل يتذمر أحدنا، وقد سمع هذا الفضل الإلهي العجيب؟!

كل هموم الدنيا، وكل مصائبها، سواءً كانت:

- نصبًا: أي تعبًا.

- وصبًا: أي مرضًا.

- همًا أو حزنًا: من نفسك أو من ناس تسلطوا عليك.

- أذىً: في بيتك، في عملك، في مالك، أو في أولادك.

كل ذلك مكتوب لك في سجل حسناتك عند الله إذا صبرت. حتى الشوكة الصغيرة التي تُحدث لك ألمًا وتتضجر منها، يكتب الله بها أجرًا وكفارةً.

اغبرار لباسك لمجلس ذكر .

وتفطر قدمك للقيام.

وريقك عند الصيام.

ودمعة عينك عند الذكر.

و بحة صوتك عند ترديد آيات الله.

(١) (الراوي: أبو هريرة | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٥٦٤١ | خلاصة حكم المحدث: صحيح).

وطول طريق قطعته من أجل الطاعة.

لعله أثر تُؤجر عليه .

وارتقيت به فلا تستكثر.

الشرط الأساسي:

المهم أن لا نجزع ولا نسخط، فكل شيء بقضاء الله وقدره، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورٗا ٣٨﴾ [الأحزاب : ٣٨].

طبيعة الدنيا:

الدنيا دار ابتلاء، لا يسلم منها بشر، ولا ينجو فيها عظيم أو صاحب جاه. فهي محط الأسقام والأكدار، كما قال -عز وجل-: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾ [المُلك : ٢]

فلنستقبل المصائب برضا ويقين، ونجعلها سبيلًا للتقرب إلى الله، ورفع درجاتنا عنده

تسلية المؤمن بحديث الابتلاء والتكفير عن الذنوب

وجاء في الحديث الشريف عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- قوله: «يا رسولَ اللهِ، كيف الصلاحُ بعدَ هذه الآيةِ: ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ ؟!».

فقال النبي -صلى الله عليه وسلم: «غفر الله لك يا أبا بكر، ألستَ تمرض؟ ألستَ تنصب؟ ألستَ تحزن؟ ألستَ تُصيبك اللأواء؟» قال: بلى. قال: «فهو ما تُجزَون به»[1]

(١) (الراوي: أبو بكر الصديق | المحدث: شعيب الأرناؤوط | المصدر: تخريج المسند لشعيب | الصفحة أو الرقم: ٧٠ | خلاصة حكم المحدث: صحيح).

شرح الحديث:

في هذا الحديث تسلية بالغة لكل مؤمن، وإعلام بأن الابتلاءات التي تصيب المسلم في دنياه هي كفارة عن خطاياه وذنوبه.

- سأل أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- عن مفهوم الآية الكريمة ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النِّسَاء: ١٢٣]، متسائلًا كيف يكون الصلاح والخلاص في الآخرة مع وجود هذه المحاسبة الشديدة؟

- أجابه النبي -صلى الله عليه وسلم- أن هذه الابتلاءات الدنيوية؛ مثل المرض، والتعب، والحزن، وضيق المعيشة، ما هي إلا أوجه تكفير عن الذنوب والسيئات التي اقترفها الإنسان.

معاني الابتلاءات الواردة في الحديث:

١. المرض: ما يصيب الإنسان من أوجاع وآلام جسدية.

٢. النصب: التعب والمشقة في الحياة.

٣. الحزن: الآلام النفسية الناتجة عن المصائب والشدائد.

٤. اللأواء: الضيق المعيشي والصعوبات الاقتصادية.

رسالة الحديث:

النبي -صلى الله عليه وسلم- يوضح أن هذه الابتلاءات ليست عقوبات خالصة، بل هي رحمة إلهية؛ لتطهير العبد من خطاياه. فهي تُخفف أوزاره؛ ليخرج من الدنيا خفيف الذنوب، طاهرًا من المعاصي.

الابتلاء طريق إلى الجنة:

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة».

وهذا يُبين أن المؤمن الصابر على الابتلاء هو في طريقه للنجاة في الآخرة، حيث يُكفَّر عن ذنوبه في الدنيا، ويُرفع في درجات الجنة.

الحديث يدعونا إلى التفكر في حكمة الله سبحانه وتعالى، وقبول أقداره بالصبر والرضا، فكل ألم أو حزن أو تعب، صغيرًا كان أو كبيرًا، هو في ميزان حسنات المؤمن يوم القيامة؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البَقَرَة: ١٥٣]

الصبر على مصائب الدنيا: كيف يواجه المؤمن همومه؟

إن ما يصيب العباد من غموم وهموم وأحزان في الدنيا، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، طائعين أم فاجرين، هو أمر لا مفر منه. لكن، للمؤمن في هذه الأوقات ما لا يملكه غيره؛ فهو يملك إيمانًا بالله يخفف عليه المصاعب ويمنحه القوة لتجاوز ما يواجهه. فحتى وإن كانت الدنيا مليئة بالهموم والمصائب، يبقى المؤمن يرى أن هذه المحن هي منح من الله تأتي بلباس المصيبة، ويعلم أن وراءها حكمة عظيمة

المصائب وأثرها على النفس

تتعدد أشكال المصائب والهموم في حياة الإنسان، فقد تكون فقدانًا لعزيز، أو تراكمًا لديون، أو ضياعًا لمال، ظلم، أو فواتًا لأمنية. وكل هذه الكربات تؤثر في النفس، فتظلم الدنيا على الإنسان، وتقلل من عزيمته. لكن المؤمن لا يستسلم لهذه الصعاب؛ بل يراها فرصة لتعزيز إيمانه، والتقرب من الله

إيمان المؤمن بقضاء الله وقدره

سلاح المؤمن في مواجهة المصائب هو إيمانه العميق بقضاء الله وقدره. فالمؤمن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. لا مكان للحزن أو الأسف على ما فات، لأن ما حدث هو تقدير الله في تلك اللحظة، وليس بيد الإنسان تغييره. يقول الله تعالى في القرآن: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحَدِيد : ٢٢ - ٢٣]

القدرة على التكيف مع الأقدار

المؤمن لا يجزع عندما تصيبه المصيبة؛ لأنه يثق أن هذه الأقدار مكتوبة له. على عكس من لا يؤمن بالقدر، فإنهم عندما تواجههم المصائب قد يفقدون صوابهم، وتراهم يعيشون في حالة من الاضطراب النفسي، وتلعب بهم الوساوس والأسئلة المتعلقة بالسبب والنتيجة، مثل: «لو فعلت كذا لما كان كذا.» كما ذكر الله عن المنافقين في القرآن: ﴿ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ ﴾ [آل عِمۡرَان : ١٥٤].

القدرة على الصبر والتسليم لقضاء الله وقدره هي من أعظم ما يميز المؤمن. فالمصائب والهموم جزء من الحياة، ولكن في إيمان المؤمن يتحول الألم إلى وسيلة للتقرب إلى الله، والضيق إلى فرصة للنمو الروحي. فليست المصيبة إلا درسًا لنا في كيفية التعامل مع قدر الله والركون إليه في كل الأحوال

الابتلاء في حياة الأنبياء دروس في الصبر والاحتساب

إنَّ الحياة الدنيا مليئة بالأكدار والمحن، وليس فيها من السلام التام لأي إنسان، حتى لو كان الأنبياء وأفضل الخلق؛ فقد تعرضوا لابتلاءات شديدة لم ينجُ منها أحد. تأمل في ما جرى لآبائنا الأنبياء: نوح -عليه السلام- أمضى مئات السنين في دعوته وتعرض للأذى من قومه، إبراهيم -عليه السلام- رُمي في النار، إسماعيل -عليه السلام- فُجع بالذبح، يوسف -عليه السلام- بيع بثمن بخس وذاق مرارة السجن، وزكريا -عليه السلام- نُشِر بالمنشار، يحيى -عليه السلام- ذُبح، وموسى -عليه السلام- عانى مع بني إسرائيل

الابتلاء على قدر إيمان العبد

جاء في الحديث الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: الأنبياءُ ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ»، فيُبتلى الرجل حسب صلابته في دينه؛ فكلما كان إيمانه أقوى، كان ابتلاؤه أشد. هذا الحديث يعلمنا أن الابتلاء جزء من الإيمان، وأنه ليس عبثًا، بل هو طريق للتطهير والرفع في الدرجات. كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: «فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتَّى يترُكَهُ يمشي على الأرضِ ما عليْهِ خطيئةٌ»[1].

صبر الصحابة على الأذى في سبيل الله

قال ابن مسعود -رضي الله عنه: «أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر وعمار وأم عمار سمية وبلال وصهيب والمقداد، فأما النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر فمنعهما

(١) الراوي : سعد بن أبي وقاص | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم: ٢٣٩٨ | خلاصة حكم المحدث : حسن صحيح

الله بقومهما، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس»[1].

لقد مرَّ الصحابة الأوائل بأشد الابتلاءات في سبيل الله. كانوا أول من أظهر إسلامه، ومع ذلك تعرضوا للأذى الشديد من المشركين. كما ذكر ابن مسعود -رضي الله عنه- أن الصحابة كانوا يُعذبون في مكة بأشد أنواع العذاب، مثل لبس الدروع الحديدية، وصهرهم في الشمس. ولكنهم صبروا، وذاقوا مرارة العذاب، وكانت كلمات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لهم «صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة» تدعوهم للثبات والاحتساب

وتستمر القصص العظيمة التي تثبت صبر الصحابة والتابعين في مواجهة المصائب. كعب بن مالك وأصحابه تعرضوا للنبذ والعزلة في فترة طويلة، حتى جاء الفرج من الله، وحدثت توبتهم ورجوعهم إلى صفوف المسلمين. أما عائشة -رضي الله عنها- فقد تعرضت لاتهام أهل الإفك الذي دام شهراً كاملاً، حتى برأها الله بآيات تُتلى في القرآن الكريم. وأم سلمة -رضي الله عنها- تعرضت لفقدان زوجها، وابتلاء في فراق ابنها، ولكنها صبرت واسترجعت، فجازاها الله بأن تزوجها النبي -صلى الله عليه وسلم- ورفع مقامها

الابتلاء سنة الله في الأرض

كل هذه القصص تدل على أن الدنيا هي دار الابتلاء، وأن المؤمن يجب أن يتحلى بالصبر في كل زمان ومكان. فابتلاء المؤمن في نفسه وأهله وماله جزء من سنة الله في خلقه، وهو ما يجعله يُمتحن في إيمانه، ويُرفع مقامه عند الله إذا صبر واحتسب. فعلى المؤمن أن يتذكر أن الابتلاءات

(١) الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : الألباني| المصدر : صحيح ابن ماجه الصفحة أو الرقم: ١٢٢ | خلاصة حكم المحدث : حسن -التخريج : أخرجه ابن ماجه (١٥٠) واللفظ له، وأحمد (٣٨٣٢).

ليست نهاية الطريق، بل هي مراحل يمكن أن يكون فيها الفرج والتقرب إلى الله، فالمؤمن دائمًا ينتظر الفرج، ويأمل الخير من الله، ويثق في أن كل شيء هو بتقدير الله وحكمته

بعد العسر يسر

وإن البلاء والمحن هي جزء من الحياة الدنيا، ووجودها في حياة المؤمنين ليس علامة على غضب الله، بل هو اختبار وابتلاء من الحكيم -جل جلاله-. الله -سبحانه وتعالى- وعد الصابرين بالأجر العظيم، ووعدهم بأن مع العسر يأتي اليسر، وأن بعد الضيق سعة. قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦﴾ [الشَّرح: ٥ - ٦]، وهذه الآية توضح لنا أن العسر مهما اشتد فلن يغلب اليسر، بل سيأتي بعده فرج وسعة

وفي هذا الصدد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝١٠﴾ [الزُّمَر: ١٠] فالصبر هو السبيل للحصول على الأجر العظيم، حيث يوفى الصابرون أجرهم دون حساب أو تقيد. فمن يصبر على المحن والابتلاءات، يجد أجرًا مدخرًا له في الآخرة، وفَرَجًا قريبًا في الدنيا، وذنوبًا تُغفر له

كل ما يحدث لك هو بتقدير الله

كل ما يجري في هذه الدنيا هو بقضاء الله وقدره، وعلينا أن نعلم أن ما يصيب المؤمن من بلاء هو خير له في النهاية، مهما بدا الأمر صعبًا أو قاسيًا. كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»[1].

(١) الراوي : صهيب بن سنان الرومي | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٩٩٩ | خلاصة حكم المحدث: (صحيح).

وإذا ابتُلي المؤمن، فإنه يتذكر أن كل شيء بقضاء الله، ويستعين بالصبر والاستغفار، ويعلم أن الدنيا مهما كانت مليئة بالمصاعب، فإنها أهون من عذاب الآخرة. وإذا تذكر المؤمن حكمة الله في قضائه، واحتسب الأجر، فإن البلاء يصبح وسيلة للتطهير والرفع في الدرجات. كما قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [مُحَمَّد : ٣١].

إيمان المؤمن بالقضاء والقدر يجعل كل البلاء في نظره فرصة للتقرب إلى الله، وتطهير النفس، مع الاعتقاد الراسخ أن هذا البلاء مهما اشتد فهو في النهاية لمصلحة المؤمن، وتكفير لذنوبه، وطريق إلى ما هو أفضل في الدنيا والآخرة

سحابة صيف.. ثم تنقشع

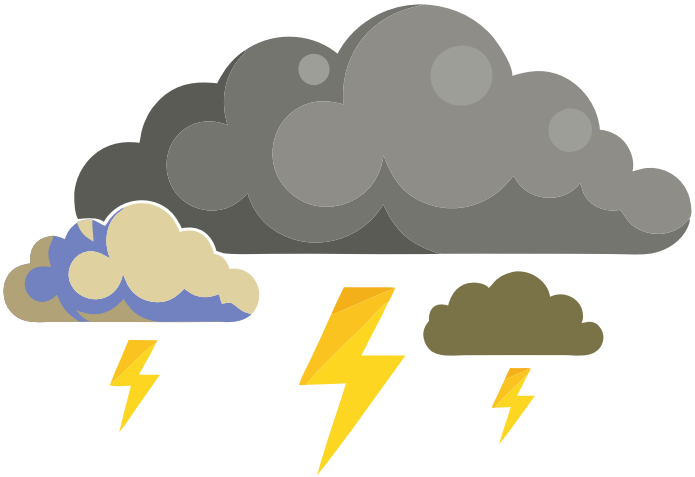

البلاء والمصائب في حياة الإنسان أيام معدودة، تمضي سريعًا كما تمضي سحابة صيف، تحمل بعض الغيوم والرعد، لكنها لا تلبث أن تنقشع، ويشرق بعدها النور. البلاء هو سُنّة الله الجارية في خلقه؛ فمن ألوان الابتلاء أن يكون بنقمة أو ضيق، وقد يكون حتى بنعمة ليختبر صبر الإنسان وشكره. يقول الله عز وجل:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [الإنسان : ٢].

فمنهم من يتفكر في حكمة الله في بلائه، فيسكن قلبه، وتهون عليه الشدة، ومنهم من يجزع ويتسخط، فلا يجني سوى شدة في الألم، وزيادة في الحزن.

رسالة إلى كل مبتلى

هوِّن على نفسك. مهما كان حجم الألم وشدة الكرب، فإن مع العسر يسرًا، وإن بعد الضيق فرجًا، كما وعد الله. ابتلاء المؤمن ليس إلا سحابة صيف، يراها البعض محنة، ولكنها في حقيقتها منحة من الله لتطهيره ورفع درجاته.

كلمات تسلية وتفاؤل

كان محمد بن شبرمة -رحمه الله- إذا نزل به بلاء يقول: «سحابة صيف ثم تنقشع»، تذكيرًا للنفس أن كل شدة إلى زوال[1]

حين تمر بك رياح الشدة، تذكر قول الله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ [الفُرْقَان : ٤٨].

فالرياح، وإن بدت عاصفة، تحمل بين ثناياها بشارة الغيث، ورحمته قريبة من القلوب المؤمنة الصابرة.

أمل لا ينقطع:

متى ما اشتدت رياح الألم والحزن، فاعلم أن البشارة دنت، وأن الله الرحيم لا يطيل الهم على قلب عبده. البلاء يأتي لحكمة، لكنه ينقشع برحمة، ليجلب فرجًا وبشرى لا تخطر على قلب.

فقل لأيام حزنك بثقة المؤمن: «لعلها سحابة صيف..»

«ستؤجر على ما تعاني: مشقة الدنيا طريق إلى أجر الآخرة».

(١) (عدة الصابرين، ٢: ١٩).

وتأكيدًا على الآية التي نتناولها هي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [التَّوْبَة : ١٢٠].

هذه الآية تؤكد على قيمة الاستمرار في العمل الصالح، حتى مع وجود المشقة والعناء. فكل ما يواجه المؤمن من تعب أو مشقة أو أي ضرر في سبيل الله، مهما كان صغيرًا أو كبيرًا، فإنه مكتوب له عند الله كعمل صالح.

الرسالة في الآية:

١. الاحتساب عند الله: المشقة التي يتحملها الإنسان في سبيل الله، سواء في الجهاد، أو الدعوة، أو الصبر على الطاعات، كلها مسجلة عند الله، ولن تضيع أبدًا.

٢. الاستمرار في العمل الصالح:يجب على المؤمن أن يدرك أن المشقة ليست عائقًا، بل وسيلة لرفع درجاته عند الله، فيستمر بالعمل الصالح مهما كانت التحديات.

٣. أجر المحسنين مضمون: الله عز وجل لا يضيع أجر المحسنين، وهذا وعد صريح من الله يُطمئن قلب المؤمن، ويدفعه للصبر والثبات.

العبرة:

حتى في أصعب اللحظات، ينبغي للمؤمن أن يواصل عمله الصالح، مستشعرًا أن الله يرى جهده، ويكتبه له أجرًا لا حدود له، وأن الثواب في الآخرة سيكون أعظم وأبقى

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها, أنت وليها ومولاها

م	المراجـــع
١	تفسير الأحاديث - الموسوعة الحديثية - الدرر السنية.
٢	تفسير الوسيط للطنطاوي.
٣	تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ موقع الشيخ خالد سبت
٤	رسالة لكل مبتلى ومحزون - صالح بن عبدالرحمن الخضيري.
٥	ما يصيبُ المسلمَ من نصب وأدب المرض- حمزة بن فايع آل فتحي.